وإصراراً على الإفساد أو يزيد، كيف لا؟ وقد تأخذ العزة الحاصلة بغير إثم - وبحق وصلاح - تأخذ صاحبها أخذة الغرور والاستكبار، فتحمله على الإفساد، ولكن أين أخذة من أخذة، وأين إفساد من إفساد فـ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

عزة الطغوى - هي بطبيعة الحال - تأخذ بالإثم، وأحياناً تأخذك إليه عزة التقوى، كمن اتقى ويرى نفسه فوق العظة فيتأنف على من يقول له ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ولكن التقي الصالح ليس ليتجبر بتقواه، فتحمله على طغواه أمام من يعظه، بل هو صاغٍ له بكلٍّ إنصات، اللّهم إلّا لمن يسخر منه في عظته، أو يفتري عليه فيها، يقول له اتق الله وصم حال أنه غير صائم، فهو هنا وهناك يعظه لكي يردعه عن عظته الطالحة إلى عظة صالحة.

فكما على التقي النقي أن يصغي إلى عظة ربه، كذلك إلى عظة الواعظين عن ربه، استصلاحاً لنفسه، وتعبيداً لسبيل الإصلاح للمصلحين، وخلقاً لجوّ العظة الصالحة من الصالحين مهما كانوا فقراء ضعفاء لا دور لهم في دنيا الحياة.

فلتكن العظة الصالحة بشروطها طليقة في كل الوجوه وبكل الوجوه، إنارة للوجوه، وإضاءة للأجواء بصالح الأخلاق.

فذلك النسناس الخناس الذي تأخذه العزة بالإثم، عليه ما عليه في الحياة الدنيا ثم ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ممهَّدة له بما مهَّد، ومعدَّة بما أعدَّ، فإنه بنفسه ونفسياته هنا جهنم، فحسبه نفسه البارزة في الأخرى جهنم يصلاها وبئس المصير، هؤلاء ناس هم في الحق نسناس، ليست لهم من ميِّزات الناس أي نبراس ومتراس - ثم:

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾:

شراء النفس له درجات أدناها أن يشري نفسه خوفاً من النار، ثم من يشري نفسه طمعاً في الجنة، فـ ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[١] تشملهما حيث الآخرة الصالحة تتبدد بالبعد عن النار ثم إلى الجنة. وقد تختص بالفريق الثاني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢]، كما وينادى لهم على طول الخط في أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾[٣].

فالفريق الأول المتَّقون من خوف النار هم العبيد، والآخرون المتقون رغبة في الجنة هم التجار، وهنا فرقة ثالثة ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا بابتغاء البعد عن النار، ولا بابتغاء الجنة، حتى ولا بابتغاء مرضات الله، أن يجعلها ثمناً لشرائه، فإنما ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مترفعين عن كل بديل وثمن، متحررين في شراء أنفسهم كل تجارة وبغية مبادلة، إلّا غاية واحدة هي ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ حتى لو لم يدخل به الجنة أو يدخل به النار، فإنما بغيتهم في شرائهم هي فقط ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا سواها ولا سواه، وهؤلاء هم أفضل الأحرار.

وأصدق المصداق منهم في المتقين بعد الرسول ﷺ هو علي أمير المؤمنين عليه السلام ليلة المبيت إذ صان بنفسه نفس الرسول ﷺ فاستحق بذلك

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٣) سورة الصف، الآيتان: ١١، ١٢.

النـــزول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾!

وقد أخرج قصة ليلة المبيت ونزول آية الشراء بشأنها في علي عليه السلام فيما حضر عندنا واحد وثلاثون من مؤلفي إخواننا السنة[1] بمختلف التعابير القيمة عن ذلك الموقف العظيم.

(١) وهم: ١ - أحمد بن حنبل في مسنده (١: ٣٣١) ٢ - والطبري في تفسيره (٩: ١٤٠) بأربعة أسانيد والحاكم في المستدرك ٣ - والحافظ الحاكم في المستدرك ج ٣ (١) ٤ - والذهبي في تلخيص المستدرك (٣: ٤) ٥- والثعلبي في تفسيره على ما في تفسير اللوامع (٢: ٣٧٦) ٦ - والحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه: ما نزل في شأن علي - على ما في اللوامع (٣: ٣٧٥) ٧ - والغزالي في إحياء العلوم ٨ - وموفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي على ما في اللوامع (٢: ٣٧٥) ٩ - والفخر الرازي في تفسيره (٥: ٢٢٣) ١٠ - وعز الدين الجزري المعروف بابن الأثير في أسد الغابة (٤: ٢٥) ١١ - والسبط بن الجوزي في التذكرة ص ٨١٢ ١٢ - واللجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١١٤ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٣) ١٤ - والحموييني على ما في اللوامع (٢: ٣٧٧) ١٥ - والنيشابوري في تفسيره (٢: ٢٠٨) ١٦ - وأبو حيان المغربي الأندلسي في البحر المحيط (٢: ١١٨) ١٧ - والشيخ محمد الكازروني في السيرة المحمدية. ١٨ - وابن صباغ المالكي في الفصول المهمة (ص ٣٠) ١٩ - وملّا معين الكاشفي في معارج النبوة في مدارج الفتوة (١: ٤) ٢٠ - والقسطلاني في المواهب اللدنية على ما في اللوامع (٣٧٧) ٢١ - وصاحب كتاب المجمع والمباني على ما في اللوامع (٣: ٣٧٧) ٢٢ - والمؤرّخ الشهير غياث الدين همام المعروف بخواندمير في حبيب السير (٢: ٢) ٢٣ - والشاه عبد الحق الدهلوي في مدارج النبوة ص (٧٩) ٢٤ - والترمذي في مناقب المرتضوي ص(٣٣) ٢٥ - والآلوسي في تفسير روح المعاني (٣: ٨٣) ٢٦ - والسيد أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية (١: ٣٠٦) ٢٧ - والقندوزي في ينابيع النبوة ص (٩٢) ٢٨ - والشيخ عز الدين عبد الرزاق المحدث الحنبلي على ما في البحار (٩: ٩١) ٢٩ - وصاحب كتاب فضائل الصحابة على ما في البحار (٩: ٩٢) ٣٠ - وابن عقب في الملحمة على ما في البحار (٩: ٩٢) ٣١ - وأبو السعادات في فضائل القرة على ما في البحار (٩: ٩٢).

ننقلهم عن ملحقات إحقاق الحق ج ٣ للعلم الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله.

فهو «أول من شرى نفسه ابتغاء مرضات الله»[١] قائلاً لأبي بكر: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق فدخل معه الغار[٢] وقد أمره رسول الله ﷺ أن ينام مكانه[٣] فلما نام قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية[٤].

وللرباط الوثيق بين هذه الآية وآية الغار، قد نأتي على تفصيل هامة

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن الحسين عليه السلام وفيه قال علي عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقًى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبتُّ أراعيهم ولم يتهمونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وعن القسطلاني: فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر علياً فنام مكانه وتغطى ببرد أخضر فكان أوّل من شرى نفسه مرضات الله . . .
أقول: أوّل من شرى يأتي في أغلب الروايات عن ليلة المبيت.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن علي بن الحسين.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره.

(٤) أخرجه فخر الدين الرازي في تفسيره ويروى أنه نام . . .
أقول: هنا نكتفي بما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (١: ٣٣١) قال حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة أبو يلح ثنا عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلون هؤلاء قال فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال فابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له عشر فعد العشرة وقال: وشرى عليّ نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه قال: وكان المشركون يريدون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم قال وأبو بكر يحسب أنه نبي الله - قال فقال: يا نبي الله، قال فقال له علي إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل يرمي بالحجارة كما كان يرمي نبي الله وهو يتضوّر وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك الحديث.

الهجرة في آية الغار، هنا نقارن بين صاحب الغار والفراش أيهما أفدى بنفسه وأكثر شارياً إياها ابتغاء مرضات الله؟.

صاحب الغار صاحَبَ الرسول ﷺ حالة الفرار، وصاحب الفراش ظلّ على فراش الرسول ﷺ تقبلاً وتحملاً لكل الأخطار، فأيهما - إذاً - أفدى بنفسه؟.

وهما هنا فرقدان، فرقد الليل وفرقد النهار، فرقد الليل يرقد على فراش الرسول ﷺ في الخطر القائم الهاجم، وفرقد النهار يصاحب الرسول ﷺ والخطر ناجم، وترى هاجم الخطر أشجى أم ناجمه؟.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ إذ يبعث رجالاً صالحين هكذا ليدفعوا عن بأس أولئك الطالحين وكما قال الله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

هذا - وقد لا تنطبق الآية على من يشتري نفسه بماله كصهيب[2] فإنه اشتراء وليس شراءً، وهو بمال وليس ابتغاء مرضات الله مهما كان في مرضات الله.

إنها منطبقة على كل من شرى نفسه ابتغاء مرضات الله على مدار الزمن بدرجاتهم في ذلك الشراء، ومنهم حسب

المروي عن أصدق مصداق لهذه الآية «الرجل يُقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٤٠ عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي فيه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ قال: ربح البيع ربح البيع ونزلت الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾:

هنا ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ وفي غيرها «السَّلم والسَّلَم» فالأخير هو تسليم النفس حالة الحرب، وهو عرض الصلح كما هو لائح من آياته الست وكذلك الثاني من آيته ولكن ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ - وهو الوحيد في كل القرآن - قد يزيد عليهما لازمَه إلى متعديه، فإن «الفَعْل» هو قياس مصدر المعدَّى، و«الفَعَل» هو هو متحركاً، ولكن «الفِعل» يأتي لازماً ومتعدياً، فقد يعني «السِّلم» لازمه ومتعديه، أن يكون الإنسان سليماً في ذات نفسه مع فطرته وعقليته، ومع حواسه وأعضائه وكل نفسياته وذاتياته دونما نشوز وشذوذ، ومن ثم تسليماً كاملاً للحق، فقد يتسلم ظاهراً وليس مسلماً في نفسه كمن يجنح للسَّلم، وإنما يسلم أمام القوة خوفةً على نفسه، وأما السِّلم فهو السلامة في كافة الحقول أنفسية وآفاقية ولخالق الآفاق والأنفس كأصل للسِّلم.

وهنا يؤمر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ - وهم درجات - أن ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ حيث البعض غير داخلين - بعدُ - في السِّلم وهم مؤمنون، أم داخلون فيه وليس كافةً، أم وكافة ولكنهم يتبعون خطوات الشيطان، التي تخرجهم عن كافة السلم أم عن السلم كافةً.

فمثلت «الدخول في السلم - كافة - و: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ هنا مطلوب من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولم يدخلوا - بعد - فيه كلّاً أو بعضاً، أم لم يكملوه بعد حيث الإيمان درجات.

فكما يؤمر المؤمنون أن يؤمنوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ...﴾[1] كذلك يؤمرون - وبأحرى - أن يدخلوا في السِّلم كافة، حيث الإسلام ولا

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

سيما مثلته الجهات، هو مرحلة بعد الإيمان، كما إن إسلام التسليم إقراراً باللسان هو قبل الإيمان.

فهذه دعوة للمؤمنين باسم الإيمان وسِمته أن يستزيد وافيه دخولاً في السِّلم كافة، وهو الإسلام بكل أبعاده دونما شذوذ أو نشوز، بسلم النفس في ذات نفسها، وأمام الله بشرعته السليمة، وأمام رسالات الله والمؤمنين بالله كما حدَّه الله وعدَّه.

وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا مما يشي لامحة بأنه كانت هناك نفوس مؤمنة ما تزال يثور فيها بعض التردد في السِّلم المطلق: من مشرك أسلم وعنده بقية من الطقوس الشركية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١] [٢].

أم كتابي أسلم وله بقية من الطقوس الكتابية المنسوخة كبعض اليهود[٣] والنصارى، ومِن مؤمن لم يسلم بعدُ بكل أعماله وأفكاره وإن آمن حدّاً مّا بقلبه، حيث الإسلام يزيل كل الرواسب الشركية والكتابية المنسوخة، إلى تسليم ناصع للشرعة القرآنية دون إبقاءٍ، ثم ومن مسلمٍ بعد إيمانه لم يدخل في السّلم المطلق المطبِّق، حيث يشذ عقائدياً أو عملياً بخطوات من الشيطان، ومن داخل في السّلم وليس كافة، في زواياه الثلاث كافة.

ومن داخل كافة وهو بعدُ في خطر اتباع خطوات الشيطان، فليس إذاً

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) كعدد من المشركين آمنوا واشترطوا في إيمانهم أن لا يكسر الرسول ﷺ اللّات والعزى!

(٣) في الدر المنثور ١: ٢٤١ - أخرج ابن جرير عن عكرمة في الآية قال: نزلت في ثعلبة وعبد الدين سلام وابن يامين وأسد وأسيد بني كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود قالوا يا رسول الله ﷺ يوم السبت يوم سن نعظمه فدعنا فلنسبت فيه وإن التوراة كتاب الله فدعن فلنقم بها بالليل، فنزلت.

دخولاً كافةً كما يرام، والمطلوب هنا من المؤمنين كافة أن يدخلوا في السلم كافة دون اتباع لخطوات الشيطان، حيث الخطوة هي من خطْوِ القدم في نقلها من مكان إلى مكان حتى يبلغ مقصده، والشيطان يحاول دوماً أن يخطو بالإنسان من صغيرة إلى كبيرة وإلى كبرى حتى يورده موارد الضلالة الكبرى، ولا سيما الإنسان المؤمن المسلم الذي لا يرضى بكبيرة وسواها، فإنه يورده في صغيرة قد يزينها له أنها ليست محظورة حين يترك كبائر المحرمات وإلى خطوات أخرى حتى يأخذ منه حظّه الأوفى.

و﴿كَآفَّةً﴾ هي مبالغة الكف، وإنما يقال لمجموعة كافة لأنها تكف بطبيعة الحال عما لا يكف عنه الواحد.

فـ ﴿كَآفَّةً﴾ هنا وفي غيرها تعني في الأصل الكفّ المطلَق المطبَق، فهي هنا سِلمٌ يكف عن الداخل في السِّلم ما سوى السِّلم، ويكف الجمع الداخل في السِّلم عن التفرق والتمزق في تمسكهم بحبل الله جميعاً، كما يكفهم عن خطوات الشيطان.

فليكن دخول المؤمن في السِّلم كافة في كافة الجهات والجنبات، دونما إبقاء على ثغرة ينفذ فيها الشيطان، إسلاماً طليقاً في السلم بعد الإيمان يكف عن كتلة الإيمان كل بأس وأذى، وكل نشوز عن شرعة الله في دواخل أنفسهم علمياً وعقائدياً وفي النية والطوية، وفي أعمالهم فردية وجماعية، وفي كافة الحقول الحيوية التي رسم الإسلامُ السِّلمُ رسمَها.

فالإسلام يتطلب من المؤمنين به ككل أن يدخلوا في السلم كافة، دخولاً كافة وسلماً كافة وتركاً لاتباع خطوات الشيطان كافة، وحين تُكتمل هذه الزوايا الثلاث من مثلث الإسلام السلم وسلم الإسلام فهم - إذاً - في القمة المرموقة من الكمال والقوة والسيادة.

فالمؤمن حين يستجيب ذلك النداء الحبيب الرقيب، يدخل في عالم كله

سلم وسلام وإسلام، كله ثقة واستقرار، سلم مع نفسه وسلم مع ربه وسلم مع عباد الله، وسلم مع الكون كله حيث يُسمح به، فإن السلم مع معاند الحق المتطاول على أهل الحق حربٌ مع الإسلام.

وذلك السلم هو لمحة أو لمعة من الإسلام الذي كان يتطلبه النبيون لأنفسهم ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[١] كما إن رسول الإسلام ﷺ أوّل المسلمين: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾[٢]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[٤]، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[٥].

فهناك - في البداية - إسلام الإقرار باللسان، ثم الإيمان وهو التصديق بالجنان وعمل بالأركان، ثم إسلام السرّ والعلن لله دخولاً في السلم كافة وتركاً لاتباع خطوات الشيطان، وهو آخر المطاف في التطواف حول الحق المُرام مهما كان درجاتٍ كما أن لكلٍّ درجات، ثم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بعد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ دليل على أن الإيمان دون الدخول في السلم، أم هما دون كافة، إنه معرض لخطوات الشيطان، بل هو نفسه خطوة شيطانية.

أجل وإنه ليست هناك مناهج عدة في مسلك الإيمان، فللمؤمن أن يختار واحداً منها أو يخلط بعضها ببعض، بل هو منهج واحد هو الدخول بأقدام الإيمان في السلم كافة، وما ورائه من خطوات الشيطان، فليس هنا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

حلٌّ وسط ومنهج فيما بين، ولذلك يقول الله عن مجرد الإيمان دون الإيمان المجرد ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١].

إنما هو حق واحد وباطل بمظاهر عدة، خالصاً أم خليطاً بحق كلاهما من خطوات الشيطان، هنا إسلام وجاهلية، منهج الرحمن ومنهج الشيطان، والله يأمر المؤمنين بالدخول في السلم كافة تركاً لاتباع خطوات الشيطان وهو كلما وراء الإيمان ووراء دخول المؤمن في السلم كافة مهما كانت دركات كما الإيمان درجات.

فالله يستجيش مشاعر المؤمنين، دخولاً في السلم كافة، ويستثير مخاوفهم قبل الدخول وبعده تذكيراً بعداء عارم للشيطان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ثم يخوفهم عاقبة الزلة بعد البيان.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾:

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ عن الدخول في السلم، أم بعد ما دخلتم فيه، أم بعد كونه أو كونكم كافة، أو «زللتم» بخطوة أو خُطىً من خطوات الشيطان، وكل ذلك ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ فيما زللتم فيه، فهنالك الطامة الكبرى فإنها زلّة بعد الدَّلة ودون علة إلّا عليلة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ذو انتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ على نقمته، وهنا نعرف ألا عقاب بعد زلّة إلّا ﴿بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ فلا مجال لعقاب أو عتاب قبل البيان، ثم الحكمة الربانية بعد العزة هي الكافلة للغفران بعد الزلّة والتوبة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزة بحكمة وحكمة بعزة، ليس يعذب من زل دون إبقاء، ولا يبقيه دون عذاب، فلكلٍّ مجاله الحكيم.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.